النهار في ٢٠ آب ٢٠٠٢

رداً على "اسئلة كينونة زائلة"

"اتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر؟"...
عبارة بليغة تصلح لأن تكون جواباً كافياً على "اسئلة كينونة زائلة" لسامي زيادة كما وردت في "النهار" يوم الاربعاء ١٤ آب ٢٠٠٢.

استوقفني الكلام حول مفهومه للحياة وكأننا نأتي ونلهو في حياة واحدة بالصدفة ثم ينتهي كل شيء عند الموت. يا لها صورة قاتمة لحياة تخلو من العدل على الارض. ان نعيش الحياة بأفضل وجوهها، بمتعها وممتلكاتها ورغباتها، هو امر بديهي لمن ينظر للمادة بعين محدودة جداً. ان العيش المادي – الظاهري هذا هو كالنقطة في بحر الوجود اللامتناهي وبعدّ واحد من "الحياة الكبرى" التي علينا ان نحياها بمختلف ابعادها كل حسب درجة وعيه وتطوره.

لم استطع السكوت عندما قرأت ايضاً ما ذكره "اننا لا نأخذ معنا شيئاً لدى مغادرتنا هذه الدنيا". فهذا يدل على مادية مطبقة في التفكير تصلح فقط لمن يتجاهل حقيقة كون الانسان موجوداً في ابعاد مادية/ نفسية/ عقلية/ روحية... لا بل ابعاد كونية (مادية ولا مادية) يتواصل بها الانسان دائماً اثناء وجوده على الارض أكان ذلك: ارادياً منه (لمن سلك درب الوعي...) او لا ارادياً (مثلاً: كما يحصل ليلاً في عالم النوم وما نذكره جميعاً من شذرات صغيرة عن احلامنا). ان التواصل ذلك يتم تلقائياً ومجتمعاً عبر اجسامنا السبعة (الذبذبية التكوين على درجاتها) والتي تتفاعل في محيطها (حسب طبقة وعيها) كما هي الحال بالنسبة لأجسادنا المادية الكثيفة في حياتنا اليومية (جسدنا هو احد تلك الاجسام السبعة والذي هو من بينها اقلها سرعة في التذبذب، مما يمكننا من رؤيته). وللمقارنة، ولتبسيط الموضوع اكثر، لا احد يمكنه اليوم ان ينكر وجود موجات الراديو والتلفزيون، مثلاً، التي لا نراها في الفضاء الارضي انما يمكننا ان نستقبلها لنسمعها او لنراها في اجهزة استقبال خاصة بها كما هي الحال، للتشبيه فقط، بالنسبة لأجهزة وعينا الخفية (او الاجسام الباطنية كما تعرفها علوم باطن الانسان).

في كل دورة حياة نأخذ معنا زاداً جديداً من الوعي لنضيفه الى ما اختبرناه سابقاً طيلة وجودنا الارضي حتى يتحقق هدف الوجود الانساني! "نترك لمن سيأتي بعدنا الكثير من عطائنا وخبراتنا في ميادين الفكر والعمل والابتكار". صحيح هذا القول، انما ما غفل عنه هو ان الانسان ذاته سيأتي مجدداً ليرث مما زرعه بنفسه اثناء تجسداته السابقة حتى يكتمل بانسانيته فيغدو مخيراً ولوج دائرة الولادة والموت لأهداف سامية؟ فمعرفة الذات اولاً هي الدرب الذي سيعي به الانسان ان الحياة ليست كينونة زائلة بل كونية ابدية وفي تطور دائم ولا تنقطع ابداً بوهم الموت.

الطالب زين ناصر